اسم المادة: القوي - العزيز - الوهاب - الجبار

من سلسلة: الحسنى

لفضيلة الشيخ: د. حسن بن عبد الحميد بخاري

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى اللّه

اسم المادة: القوي – العزيز– الوهاب – الجبار
من سلسلة: الحسنى
لفضيلة الشيخ: د. حسن بن عبد الحميد بخاري

القوي

إن معرفة أسماء الله –تعالى– وصفاته تَلُمُ شَعَثَ القلب، وتفتح للعبد آفاقًا واسعة، للتلذذ بالطاعة والعبادة، وترفع حجب الغفلة والشك والإعراض. فمن كان بالله أعرف، كان منه أخوف، وبحبه أقرب، وعن معصيته أبعد، وفي رجاء رحمته أطلب.

أطيب التحايا وأفضل السلام؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
تحيةً من عند الله مباركةً طيبة، وسلامًا يفيض على القلوب المؤمنة تعظيمًا لربها، وإيمانًا بها، وحبًا، وخوفًا، وإجلالًا. أسماء الله الحسنى عظيمة، وفي أسمائه ما يملأ الأفئدة قوةً، وإيمانًا بربها، واعتزازًا بخالقها ومولاها، وركونًا صادقًا إلى ربٍ قويٍ عزيز.
اسم القوي من أسماء الله –سبحانه– يملأ القلب ثقةً، ويقينًا، ويشد أركان الجنان إيمانًا بربه، وتعظيمًا؛ لأن الله القوي –سبحانه وتعالى– سمّى نفسه بهذا الاسم الكريم في كتابه العظيم في تسعة مواضع: "إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ" هود:٦٦، و"مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ" الحج:٧٤، القوة هي: القدرة الكاملة، وهي في أسماء الله الحسنى تعني قوةً كاملة مرتبطةً بمشيئةٍ نافذةٍ، وإرادةٍ شاملة هذا هو ربنا القوي –سبحانه وتعالى– لا يغلبه غالب، ولا يفوته هارب، ربنا القوي –سبحانه وتعالى– يمضي أمرُه، وينفد قضاؤه في خلقه، ربنا القوي –سبحانه وتعالى– يتوعد بعقابه وعذابه العصاة والكفرة من خلقه، ومن كذَّب رسله، ودحض حججه –سبحانه وتعالى–.

ربنا قوي –جلَّ في علاه– يأتي هذا الاسم في كتاب الله الكريم، ليزيد المؤمنين إيمانًا بربهم، وكل ما على وجه الدنيا في الأرض من صفة القوة في شيءٍ من الخلق، فإنما هي أثر من أثر الله القوي العزيز. يجعل الله –عز وجل– بعض القوة في بعض خلقه؛ تأييدًا للمؤمنين، واستدراجًا لغير المؤمنين، وتسخيرًا لبعض خلقه من الجمادات والحيوانات ونحوها.
جعل الله في بعض خلقه شيئًا من القوة، إلا أنَّ القوة التامة المطلقة لله القوي العزيز. لمّا أخذ الله –عز وجلَّ– بعض الأقوام بالعقاب، وكتب النجاة والنصرة والعزة لأنبيائه ورسله قال –سبحانه– واصفًا نفسه، ممجدًا ذاته العلية: "إن ربك هو القويُ العزيز"، وفي سياق الحديث عن أخذ الله للأمم الظالمة "ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ" غافر:٢٢. هذا الاسم لا يأتي

في القرآن تخويفًا فحسب لمن تعدى، وطغى، وكفر، وتكبر، واعتدى وتجبر، لكنه أيضًا يزيد أهل الإيمان ثقةً بربهم القوي، فيركنون إليه ولا يضعفون، ويثبتون على مواقف الحق ولا يستكينون، لا يتراجعون عن دينهم، ولا يتنازلون عن عقيدتهم، لأنهم يؤمنون برب قوي عزيز، يُنزل النصر من فوق سبع سماوات، ويُسخِّر ما شاء من خلقه جندًا لأهل دينه والطاعة من عباده –سبحانه وتعالى–.

من قوته يأمر السماء، ويسخر السحاب، ويرسي جبال الرواسي –سبحانه وبحمده–، بقوته يوم القيامة تتبدل الأرض غير الأرض والسماوات –سبحانه وبحمده–، بقوته يوم القيامة في أشراطها تتبدل الأكوان؛ فتُكَوَّر الشمس، وتنفطر السماء، وتسجر البحار، وتتبدل الأحوال، هو الله القوي –جلَّ في علاه–.

أي ساعة ضعفٍ احتوتك عبد الله فشعرت فيها أنك في أدنى درجات العجز والفقر؛ اركن إلى ربٍ قوي، وارفع يديك متوسلًا إليه باسمه القوي، وسله أن يُنزّل عليك من قوته ما يثبت به جنانك، ويقيم به كيانك، ويزيدك في طريق الطاعة ثباتًا.

متى ضَعُف أحدنا أمام شيطانه، أو غلبته شهوته، واستولت عليه نفسه الأمارة بالسوء فلا يستسلمن لساعة ضعفٍ، ولا للحظة ذلٍ، ولا لمعصيةٍ يمكن أن تأكل حسناته، أو موقفٍ يرتد به على أدباره، بل يركن إلى ربٍ قوي عظيمٍ –سبحانه–، قوته تملأ المؤمن في قلبه إيمانًا، وترد شيطانه، وتدحره.

قوته –جل وعلا– تثبت المؤمنين في مواقف النزال، وفي ساعات الضعف، لأن لنا ربًا قويًا عزيزًا.

أيا كرام أمة الاسلام في كثيرٍ من مواقف الحياة نشعر إلى من يسندنا فيها، وإلى من يقف بجوارنا، وإلى من يأخذ بأيدينا، وإلى من يدفع عنا كثيراً من المُلّمات والمصاعب المهّمات، إلا أن لنا ربًا قويًا –سبحانه وتعالى–، ينزل على عبده الفرج، ويفرج عنه الكرب، ويملأ قلبه سكينةً هو رحمة ورضا وطمأنينة، هو الله القوي –سبحانه وتعالى–، نتقرب إليه بضعفنا، ونستكين إليه بذلنا، ونتوسل إليه بعجزنا؛ لأنه القوي –سبحانه وتعالى–.

ارفع يديك، واخرجها صادقةً من جوف صدرك، توسل إلى الله بقوته وضعفك، بقدرته وعجزك، بغناه وفقرك، بعطاياه وفضله ومنته، وبتقصيرك وخطيئتك وزَلتك. ثم انظر كيف يفيض عليك القوي من قوته! وكيف يكسبك من هباته ورحماته وعطاياه! سبحانك ربنا ما أعظمك! ما أكرمك! سبحانك ربنا ما قدرناك حق قدرك، ولا عبدناك حق عبادتك.

اللهم أنت القوي، ونحن الضعفاء أنت الغني، ونحن الفقراء املأ إلهي بحبك وإجلالك، واجعلنا من أقرب من تقرب إليك، ومن أوجه من توجه إليه، ومن أخصِّهم زلفى لديك يا رب العالمين، واجعلنا يا ربي ممن استقوى بك، فعلى الحق قويته، ومن استنصر بك فبالحق نصرته، ومن ركن إليك فبالإيمان واليقين ملأت فؤاده، وسددت أقواله وأفعاله، بقوتك يا رب نستعين. لا حول ولا قوة لنا إلا بك. أنت مولانا فنعم المولى ونعم النصير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

العزيز

إن معرفة أسماء الله تعالى وصـــفاته تلمُّ شـــعث القلب، وتفتح للعبد آفاقًا واســـعة، للتلذذ بالطاعة والعبادة، وترفع حُجُبَ الغفلة والشـــكِّ والإعراض. فمَن كان بالله أعرَف، كان منه أخوَف، وبحبه أقرب، وعن معصيته أبعد، وفي رجاء رحمته أطلَب.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وطابت أوقاتكم بالمسرات

أسماء الله –سبحانه وتعالى– الحسنى وصفاته العلى، كلها تجتمع في إضفاء التعظيم الواجب لله –جل جلاله–. أسماء الله في كتابه الكريم، جاءت لتعريفنا بربنا الخالق العظيم، ومهما تعددت أسماؤه –سبحانه–، وتعددت أوصافه التي دلت عليها أسماؤه الحسنى، فإننا لن نزداد لربنا إلا تعظيمًا، ولن نزداد به إلا معرفةً وإجلالًا، فتعالى الله –جل جلاله– وتقدست أسماؤه.

من أسماء ربنا العظيم الكريم –سبحانه وتعالى–؛ اسم العزيز، وهذا الاسم وحده يعطي في قلب العبد معنى عظيمًا، يدفع به إلى الاعتزاز بربه العزيز. ربنا –عز وجل– سمى نفسه بالعزيز في مواضع متعددة كثيرة من كتابه الكريم، وجاءت أيضًا في أوصافٍ يصف ربنا فيه نفسه بالعزة، وهو رب العزة –جل في علاه–. ربنا عزيز حكيم، عزيز غفور، عزيز ذو انتقام، عزيز عز فارتفع وذل كل شيء لعظمته وخضع.

ربنا عزيز وكل شيء ينتسب إلى الله –عز وجل–، ويتصل به فله من العزة نصيب، وصف الله كتابه بأنه عزيز فقال –سبحانه–: "وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ" فصلت٤١:٤٢.

ولا جرم كتاب الله عزيز لأنه كلام العزيز –سبحانه وتعالى–، وكل من اقترب من ربه واقتبس شعبة من عز الله وجلاله فهو عزيز. سبحانه وتعالى يعز من يشاء ويذل من يشاء، فهو المعز لأنه عزيز –سبحانه وتعالى–.

وأهل الإيمان إنما ينالون العزة بإيمانهم، لأنهم عباد العزيز –سبحانه وتعالى– "مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً" فاطر:١٠، وإنما يبتغي أهل الإيمان عزتهم في دنياهم وعزتهم في آخراهم من ربهم العزيز، فيستنزلون نصره، ويحتمون بحماه، ويلتجئون متقوين بعز ربهم العزيز –سبحانه وتعالى–.

وقد عتب القرآن على من ينتسب إلى الإسلام ولو في الظاهر فإذا به تناله شعبة النفاق والانتماء إليهم والاحتواء بين ظهرانيهم، فيأتي كتاب الله –عز وجل– مفندًا مثل هذا الادعاء، قال الله –عز وجل–: "أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً" النساء:١٣٩

ذلٌ هو في أبشع صوره عند مبتغي العزة من غير العزيز –سبحانه–، فكيف بمبتغي العزة من خصم العزيز –جل جلاله–؟ والله إنها الذلة في أبشع صورها وأحقر مراتبها.

يا كرام ربنا عزيز، وامتلاء قلوبنا وأفئدتنا المؤمنة بالله بهذا المعنى، لن يزيدها إلا اعتزازًا بإيمانها. المسلمون أعزة بإسلامهم، أقوياء بربهم، مهما كانت الأسباب بين أيديهم لا توحي بشيء من معاني القوة أو الغلبة أو الانتصار.

يوم بدر خرج نبينا –صلى الله عليه وسلم– في ثلاثمائة وبضعة عشر، فتلاقيهم قريش بألف رجل مقاتل، مدجج بالسلاح والخيول والركائب، ما خرجوا لقتال لكن الله أراده، لقد رصد القرآن سخرية المنافقين عندما قالوا: "إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَـؤُلاء دِينُهُمْ" الأنفال:٤٩، وصفوه بأنه غرور؛ حين تلتقي الفئة المؤمنة القليلة بأضعاف أضعاف أعدادها من أهل الكفر، لكنها النظرة المسلوبة من الإيمان التي تجهل معنى عزة العزيز –سبحانه وتعالى–، ونصرته لأوليائه وأهل دينه من المؤمنين. عندما تقتصر النظرة على الحسابات المادية في العدة

والعناد، وتخفي تمامًا وتتجاهل أو تجهل أثر الإيمان ورصيده في حساب اللقاء بين الصفوف وحسابات المعارك، فكان الجواب في كلمتين في القرآن الكريم "إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلاء دِينُهُمْ كان الجواب وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" الأنفال:٤٩.
إذًا هي العزة يا أهل الإيمان.

ربنا عزيز ومن معاني العزة؛ عزة القوة والله –عز وجل– قال: "عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ" آل عمران:٤، فربنا قوي وهو عزيز –سبحانه–، وجاء معنى العزة بالقوة في مثل قوله تعالى: "إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ" يس:١٤، أي فقوينا رسالتهم وبعثتهم إلى قومهم.

ومن معاني عزة الله –سبحانه–؛ عزة الغلبة والانتصار، فربنا –سبحانه– غالب لا يُغلب، قاهر لا يُقهر، ذلت المخلوقات لعظمته، وخضعت لسلطانه وجبروته وقدرته، –سبحانه وبحمده– لا نحصي ثناءً عليه.

ومن معاني عزة ربنا العزيز –جل جلاله– وتقدست أسماؤه؛ عزة بمعنى الانتصار، عزة بمعنى الغلبة، عزة بمعنى الانفراد بالخلق والتدبير، كل ذلك مندرجٌ في اسم ربنا –سبحانه وتعالى– العزيز.

أيا أهل الإيمان؛ نحن بإيماننا أعزة بالله، لأن لنا ربًا عزيزًا، عزةً ترفع أنوفنا عن مواطن الذل والخضوع والخنوع لغير ربنا العزيز، عزةٌ تزيدنا بربنا إيمانًا، وبدينه استمساكًا، وبكل ما وهب لعباده ثقةً واطمئنانًا، لن نركن في دنيانا إلى شيء من الأسباب ذات القوة والنصر والتمكين، إلا بإيماننا بربنا العزيز الحميد. نحن بهذا نتلافى شعورًا قد يصيب فئة مؤمنة في ظرفٍ ما وزمانٍ ما ومكانٍ ما، عندما يشعرون أنه في مقابل أعداء دينهم وخصوم عقيدتهم أنهم فئة مستضعفة، ذليلة مغلوبة مقهورة، تلك حسابات ونظرة مادية، وحكم على أسبابها، إنما المعنى الحقيقي هو الانتصار الكبير، هو المبادئ والثبات عليها، هو مآلات الأمور وحسابات المصائر بين يدي ربنا العزيز –سبحانه وتعالى–.

إننا أحوج ما نكون أمة الإسلام؛ إلى فقه معنى اسم الله –سبحانه وتعالى– العزيز، لتمتلئ بها صدورنا أولًا، ثم لنقذفها في أفئدة أجيالنا وناشئتنا ثانيةً، لنملأ بها سمع الأمة وبصرها وجوانحها وأرواحها أن لنا ربًا عزيزًا. ونتذكر على الدوام مقولة الفاروق أمير المؤمنين عمر –رضي الله تعالى عنه– "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله" وليبقى منا على ذكر دومًا قول ربنا –سبحانه وتعالى–: "مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً" فاطر:١٠.

فاستمسكوا بأسباب العزة من أوسع أبوابها عند ربنا العزيز، واطلبوا العزة في أسمى معانيها وأشرف مراتبها، بطاعتنا وعبوديتنا لربنا العزيز. إن العزة تكمن في قربنا من طاعة ربنا العزيز، وامتثالنا لأمره وتحقيقنا لوعده "إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ" محمد:٧، "ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ" محمد:١١.

عزةٌ تحتاجها الأمة المسلمة اليوم أيما احتياج، لتملأ بها قناعتها وصدرها، اطمئنانًا ورضىً، ثم لتنظر بعد عواقب الأمور.

اللهم فأبدل ذل أمتنا عزًا، وقهرها نصرًا، أنت خيرٌ حافظًا وأنت أرحم الراحمين.

الوهاب

إن معرفة أسماء الله تعالى وصفاته تلمُّ شعث القلب، وتفتح للعبد آفاقًا واسعة للتلذذ بالطاعة والعبادة، وترفع حُجُبَ الغفلة والشكِّ والإعراض. فمَن كان بالله أَعرَف، كان منه أَخوَف، وبحبه أَقرب، وعن معصيته أبعد، وفي رجاء رحمته أَطلَب.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

طابت أوقاتكم بالمَسرَّات، وأسعد الله أحوالنا بكل فضلٍ منه ورحمةٍ وخيرٍ وهبة.

أيها الأحبة الكرام، اسم الوهاب اسمٌ عظيم، وأسماء الله كلها حُسنى، ويحمل في ثناياه من المعاني العظيمة ما تتابعت فيه واشتركت كل صفات العُلا، فتعالى ربنا وتقدس –جل جلاله– وتقدست أسماؤه.

قال الله –عز وجل– عن نبيه سليمان –عليه السلام– وهو يسأل الله من واسع فضله وعطاياه: "قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ" ص:٣٥.

تأملوا كيف توسل بهذا الاسم الكبير العظيم لما اتسعت مطالبه وارتفعت عنده سقف الأمنيات، لما طلب مُلكًا لا ينبغي لأحدٍ من بعده أحسن التوسل بهذا الاسم الكريم، واختار اسم الوهاب الذي حكاه القرآن؛ لأن الوهاب –جل جلاله– كثير الهبات والعطايا، لا تُحَدُّ ولا تُرَدّ.

والله –عز وجل– قد قال أيضًا في دعوات الصالحين: "رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ" آل عمران:٨.

أجل، حتى الرحمة تُوهَب من الله –عز وجل–، فهباتُه ذات أصنافٍ وأنواعٍ وأجناس، يَنعم بها الخَلق ويتقلبون في ثنايا نعمه وفضله وهباته وعطاياه؛ لأنه سبحانه يملك خزائن المُلك، "أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ" ص:٩.

ربنا وهاب "إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ" آل عمران:٨، قال شيخ المفسرين الطبري –رحمة الله عليه–: "إنك وهابُ ما تشاء لمن تشاء، وبيدك خزائن كل شيءٍ، تفتح ما أردتَ لمن أردت"

الله أكبر. ربكم وهاب، ويهب ما يشاء سبحانه لمن يشاء، أيُّ شيءٍ تنقصك في الحياة أخيّ، أيُّ شيء ما زلتِ تطلبينه من ربكِ أختاه، هذا الرب الوهاب اطرقوا بابه، وارفعوا دعواتكم، وتلذذوا بالافتقار والإلحاح والسؤال؛ فإن الله –عز وجل– لا يرد سائلًا، ولا يُخيِّب راجيًا.

يقول الخَطَّابي –رحمه الله–: "إنَّ أحدًا من الخَلق إذا أعطى صاحبه شيئًا ووهبه مالًا أو نَوالًا، فإنما يُسمَّى واهبًا، ولا يُسمى الوهاب إلا الله –عز وجل–"، يقول: "ووجهُ ذلك أن هباتَ الله –جل جلاله– التي تتصرف في كل الوجوه، وتتعدد أنواعها بلا حدٍّ ولا استثناء"، يقول: "أما البشر فلا يملكون أن يهبوا ولدًا، ولا يستطيعون أن يهبوا عافيةً أو هدىً، عطاءُ العباد وهباتُ العباد مقصورةٌ في بعض الأحوال، ويُعطون نَوالًا دون نَوال، بخلاف هبات ربنا الكريم الوهاب –جل جلاله–".

ومن أعظم الهبات التي نسألها ربنا الوهاب سبحانه: الرحمة، التي إذا ظلَّلتنا في حياتنا أَصبنا والله من ورائها كل خير، لولا رحمة الله –عز وجل– ما طابت لنا الحياة، ولا سَعِدنا بعيش، ولا اكتفينا بقليل، ولا رضينا باليسير، لولا رحمة الله لتعبنا، وانهدَّت أجسادنا، وتفطَّرت أكبادنا، وتقرَّحت أجوافنا، لولا رحمة الله.

رحمة الله تُسأل وتُطلب وتُستجدى من الرب الكريم الوهاب، "رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ" آل عمران:٨.

اسم ربنا الوهاب يحمل في طيَّاته الهِبات التي تتمناها قلوب البشر، ويحلم بها الآباء والأمهات، إنها هبةُ الولد، "لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا" الشورى٤٩:٥٠، سبحانه هو الوهاب يعطي من يشاء ويرزق من يشاء بلا حساب.

ها هنا موقفان عظيمان جليلان لنبيين كريمين:

أما أحدهما فزكريا -عليه السلام-، لما أتى مريم فوجد الرزق عندها في المحراب، فقال: "يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـــذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَـاءُ بِغَيْرِ حِسَـابٍ" آل عمران:٣٧، أدرك النبي الكريم هذا المغزى اللطيف، قال الله -عز وجل-: "هُنَالِكَ" يعني على الفور "دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ" آل عمران:٣٨، انظر كيف دعا، ما الجمل التي حكاها القرآن؟ "قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء" آل عمران:٣٨، هي ذاتها في الآية الأخرى الكريمة، قال: "فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا" مريم٥:٦.

جاءت البشـارة؛ لأنه توسـل بالوهاب، وسـأل الوهاب، وطرق باب الوهاب، أَفَيَرُدُّ الوهاب هبةَ عبدٍ وقف على بابه فمد إليه يديه؟! حاشـا والله، "فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَـــى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ" آل عمران:٣٩.

وأما الموقف الآخر فسـليمان -عليه السـلام-، لما آتاه الله المُلك سأله باسم الوهاب: "قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ" ص:٣٥.

انظر كيف تكون العطايا والهبات لما تأتيك من أكرم الأكرمين الوهاب سـبحانه، قال الله -عز وجل-: "فَسَـخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء حَيْثُ أَصَابَ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاء وَغَوَّاصٍ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ" ص٣٦:٣٩.

إن سألتم الوهاب في سجدات الصلوات، أو في جوف الأسحار، أو في طوافٍ وسعيٍ وحجٍّ واعتمار، أو عند إفطار صيام، أو في أي ساعةٍ من ليلٍ أو نهار، وطرقتم بابه وتوسلتم بهذا الاسم الكريم، فانثروا كل حوائجكم، وارفعوا كل مطالبكم، ارفعوا سقف الأمنيات؛ فإنما تطلبون من الوهاب سبحانه.

وليكن في أعظم ما تطلبونه هبةً من الله الوهاب: أن يُصلح قلوبكم، وأن يهبها الرحمات، وأن يُنزل على حياتكم البركات.

سـلوا من ربكم في عظيم الهبات التي تسـتوهبونها من ربكم الوهاب هبةَ الآخرة في جنةٍ ونعيمٍ مقيم، ورحمةٍ واسـعةٍ تتكئون فيها وأزواجكم وذرياتكم ووالديكم وأحبابكم على سررٍ متقابلين، تَنعمون فيها بكرم أكرم الأكرمين.

اللهم يا واهب الخَلق أسباب الهُدى، جَنِّبنا مسالك الرَّدى، وامنن علينا بقلوبٍ تمتلئ حبًّا لك، وإجلالًا وتعظيمًا وإخباتًا إليك، واستمساكًا بحبلك المتين.

"رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ" آل عمران:٨.

السلام عليكم ورحمة الله.

الجبار

إن معرفة أسماء الله -تعالى- وصفاته تَلُمُ شَعَثَ القلب، وتفتح للعبد آفاقًا واسعة، للتلذذ بالطاعة والعبادة، وترفع حجب الغفلة والشك والإعراض. فمن كان بالله أعرف، كان منه أخوف، وبحبه أقرب، وعن معصيته أبعد، وفي رجاء رحمته أطلب.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. مرحباً بكم أيها السادة المتابعون.

أسماء الله الحسنى كثيرةٌ عديدةٌ تتفرق في معانيها وأوصافها ودلالاتها. وتجتمع في أمر عظيم هو تعظيم الله -جل جلاله-.

أسماء الله طريقنا إلى معرفتنا بربنا الكريم الجليل العظيم -جل في علاه-. من الأسماء الفريدة المنفردة في القرآن الكريم، وأقصد بها ما جاء ورودها في القرآن مرةً لا غير، ليس هذا دلالةً على ضعف معناها وحاشا، ولا على انحسار دلالاتها وحاشا، ولكنه العجيب في أسماء الله -تعالى- والعظمة التي تتعدد أنحائها.

اسم ربنا الكريم -سبحانه وتعالى- الجبار، والذي جاء في سياق سرد الأسماء الحسنى المتتابعة في أواخر سورة الحشر، "هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ" الحشر:٢٣

اسم ربنا -سبحانه وتعالى- الجبار، صحيحٌ أنه لم يأتِ إلا مرةً في القرآن، لكن معانيه الثابتة في السنة والتي دلت عليها النصوص الأخرى في أفعالٍ منسوبةٍ إلى ربنا تثبت معنى الجبروت لله.

في أول الأمر وفي بادئ النظر، ربما انصرف إلى الأذهان مَعْنَىً يتبادر كثيرًا عند المسلمين، إذا ما سمع أو نطق أحدهم اسم ربنا -سبحانه وتعالى- الجبار، وأقصد به المعنى الذي تبادر إلى أذهانكم الآن معنى القوة والقهر والغلبة، فالله جبار السماوات والأرض، وهذا أحد معانٍ ثلاثة يحملها هذا الاسم الكريم لله -جل جلاله-.

وهو يوازي في معناه معنى اسم ربنا -سبحانه- القاهر والقهار، "وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ" الأنعام:١٨، جبارٌ -سبحانه وتعالى- يقسم ظهور الجبابرة، ولا يرضى -عز وجل- أن ينازعه أحد في جبروته وكبريائه وعليائه، لأنه -سبحانه- المتفرد بهذه العظمة وذلك الجبروت، وفي ركوع النبي -صلى الله عليه وسلم- ثبت تعظيمه لربه بهذا الوصف وهو يقول: "سبحان ذي الجبروتِ والملكوتِ والكبرياءِ والعظمةِ"[1]

هذا المعنى المتبادر الذي ينصرف إليه الذهن كثيرًا في اسم ربنا -سبحانه وتعالى- الجبار، هو مَعْنَىً صحيح، وهو يدل على معاني القوة والقهر والغلبة التي يتصف بها ربنا العزيز الخالق الواحد القهار.

إلا أن مَعْنَىً ثانيًا يحتمله هذا الاسم الكريم، وهو معنى العلو ورفعة الشأن، والتعالي على خلقه أجمعين، وربنا -سبحانه وتعالى- جبارٌ بهذا المعنى. وهو يأتي في سياق معنى الاسمين الكريمين العلي والأعلى، فالله جبارٌ بهذا المعنى في العلو والقهر للخلق، وهو -سبحانه وتعالى- يدل بهذا المعنى على استيلائه على خلقه، وسطوة أمره ونفوذ حكمه فيهم -سبحانه وتعالى-.

[1] صححه الألباني

جاء في أواخر سورة ق خطاب الله للنبي –صلى الله عليه وسلم– نافيًا عنه هذا الوصف بقوله: "وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍۖ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ" ق:٤٥، قيل معناه لست يا محمد على أمتك في دعوتك وتبليغهم رسالة الإسلام والدعوة إلى توحيد الله، لست مجبِرًا لهم على الهدى ولست مكلفًا بذلك، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– إنما كان عليه البلاغ، والله يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، هذا بمعنى القهر.

ويمكن أن يحمل معنى العلو، فقد نفى الله –تعالى– عنه كبرياءه وتعاليه وتكبره –صلى الله عليه وسلم– على قومه وأمته إذ دعاهم إلى رسالة التوحيد.

وَمَعْنىً ثالث أيها الكرام نتلمسه في جوف اسم الكريم الجبار –سبحانه وتعالى–، ألا وهو معنى إصلاح الحال، وجبر القلوب الكثيرة والأحوال الضعيفة، فالله يجبر القلوب المنكسرة، والله يجبر العبد إذا عثَر في طريقه، ويجبر المذنب إذا أخطأ، ويجبر –سبحانه وتعالى– زلة التائب النادم، المقبل إليه مستعتبًا مستغفرًا يتلمس رحمة الله، هو المعنى الذي ندعو به في الجلسة بين السجدتين، فيما علمناه نبي الهدى والرحمة –صلى الله عليه وسلم– إذ نقول: "اللَّهمَّ اغفِر لي وارحَمني واهدِني واجبُرني وعافِني وارزُقني"[٢].

من يجبر القلوب الكسيرة إلا الله؟!، ومن يجبر العبد الضعيف ذي الزلة والندم والتوبة إلا الله؟!، فالله جابر القلوب ولو أردتها بصيغة مبالغةٍ فهو الجبار –سبحانه وتعالى–.

يا كرام؛ ربنا جبار، ولجبروته خضع الخلق وذلت الرقاب، ويأبى –سبحانه– أن ينازعه في هذا الوصف العظيم أحدٌ من خلقه، لأن الخلق كلهم لو اجتمعوا في قوتهم وملكوتهم وتكبرهم وتجبرهم، فهم أحقر عند الله من أن يتصفوا بأمر استفرد الله –عز وجل– به، واختص به –جل جلاله– ولهذا فإن المتكبرين والمتجبرين قومٌ من الخلق حقيرٌ شأنهم عند الله.

يُحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر يطؤهم الناس بأقدامهم، وخاب كل جبارٍ عنيد، يوم القيامة أولئك –والعياذ بالله– أهل نارٍ، إنما تنصهر قلوبهم المتجبرة بنارٍ تلظَّى، والله –عز وجل– يأبى أن يتصف الخلق بالجبروت فيكون منهم ظلمٌ وعدوان، لكن جبروت الله –عز وجل– حقٌّ، وهو جبروت الخالق الرازق الذي تصمد إليه الخلائق وتحتاج إليه في شأنها كله.

الله –عز وجل– جبار، فيا كل مهمومٍ ومغمومٍ عندما ينكسر قلبه وتجرح مشاعره، عليك بربٍّ جبارٍ، يجبر القلب الكسير والفؤاد الحزين، فالتمس منه –سبحانه وتعالى– رحمةً وفضلًا وجبرًا لحالك.

كذلك الشأن في مصابٍ ينزل بالعبد، فتذهب من يديه بعض دنياه، وإذا به يشعر أنه قد عاد إلى الوراء خطواتٍ وخطوات، لا تأسى وربك الجبار. إن جبر القلوب عند رب الأرباب، فهو يرأب صدعها، ويبرأ على يده جرحها. ويذهب بفضله ورحمته ألمها، وسقمها، عليك بربٍّ جبار.

إذا ما شعرت أنَّ ظلم جبابرة البشر قد أحاط بك، فربك الجبار جابر القلوب المنكسرة، وقاسم ظهور الجبابرة.

ما زال هذا الاسم الكريم، يلقي بظلاله على قلوب العباد، فإذا بها تفيء في ظلالها إلى ربٍّ في عظمته وكبريائه، وفي رأفته ورحمته ولطفه في جبر قلوب عباده وإصلاح حالهم ما يجعلهم عبادًا أكثر اعتزازًا بربهم والتجاءً إليه وهو أثرٌ حميدٌ مراد من آثار أسماء الله الحسنى بلغَّنا الله وإياكم أسمى مراتبها.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[٢] الكلم الطيب للألباني